فَلْسَفَةُ التَّربيةِ في القرآنِ الكريمِ

الشيخ الدكتور هاشم أبو خمسين
الهفوف – المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

جـــاء هذا البحث ليسلط الضوء على مسألة فلسفة التربية وتعريفها والبحث عن وجودها في القرآن الكريم، وتحت أي مسمى هي؟. وما هو هدف فلسفة التربية في القرآن الكريم وأُطرها العامة، وما هي ادواتها بعد التفتيش في تفاسير الايات القرانية الكريمة. وقد يكون هذا الموضوع من الموضوعات الخاصة بالدراسات البينية المتولدة من اندماج علمين أو اكثر، ففي هذا البحث سيقع التعاون بين الفلسفة وفلسفة التربية وتفاسير القرآن الكريم، لنخرج بمعرفة جديدة تمثل رأي القرآن الكريم في فلسفة التربية لا سيما التربية الإسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

من أسباب التطور العملي هو التدقيق في معطيات ومناهج العلوم وتمحيص تجارب العلماء، وتشخيص أسباب وعلل الظواهر الطبيعية كالامراض وغيرها من التفاعلات الكيماوية والانفعالات الفيزياوية.

كما ان عرض النتائج أو النظريات على القرآن الكريم، من الأمور التي تثور من القرآن الكريم[1]، فعلى الباحثين اغتنام ورصد الموضوعات من الخارج والبحث والتفتيش عنها في طي الايات القرانية المباركة وذلك من اجل معرفة الرأي النهائي للقران حول المستجدات البشرية ومواكبة الحاجة الإنسانية والتطور الحضاري، فالمعادلة القائلة (الموضوعات من الواقع والمحمولات من القران) هي معادلة تجعل القرآن كتابا حيا نديا طريا مرنا كما انه باصول وقيم ومعلومات وحيانية ثابتة. وهي بالتالي فتلك دراسة تقوم على أساس فكرة التفسير الموضوعي التي وضع أسسها السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله.

ومن تلك المواضيع التي ساهمت في معرفة الأشياء والتدقيق في العلوم ومناهجها ونقدها وتعريفها هي «الفلسفة» بل «فلسفة العلوم» أو ما يعبر عنه بالفلسفة المضافة، مثل فلسفة التاريخ أو فلسفة الفقه أو فلسفة التربية وغيرها.

تعرف الفلسفة:

تعرف الفلسفة بأنها العلم باحكام الوجود، والفلسفة استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليها والحكم بوجودها تحقيقا بالبراهين لا أخذا بالظن والتقليد بقدر الوسع الإنساني وإن شئت قلت نظم العالم نظما عقليا على حسب الطاقة البشرية-ليحصل التشبه بالباري تعالى[2].

وقد يضاف اصطلاح الفلسفة إلى علوم أخرى غير علم الفلسفة، فيقال فلسفة الأخلاق أو فلسفة الدين أو غيرها، وعند ذلك ينتج لنا فلسفة مضافة، غير الفلسفة بما هي هي (العلم

باحكام الوجود)، ويختص هذا النوع من الفلسفات بدراسة الأحكام الوجودية والبحث عن الجواب عن أسئلته وتحليلها وربطها تحت نظام خاص بذلك العلم من أجل إعطاء الصفة المنطقية لمنظومة أي علم والوصول لتحقيق هدفه المنشود.

ونلاحظ ان التربية كسائر العلوم الأخرى يمكن ان تضاف إلى الفلسفة فينتج عن تلك الاضافة فلسفة التربية والتي يمكن ان تعرف بما يلي: هي العلم الذي يبحث البنى التحتية لعلم التربية، فتكون مباني العلوم التربوية منطقية معروفة العلة، ثم أنها تجمع المعلومات الوجودية للإنسان تعطيها ربطاً خاصاً بالجهة التربوية للإنسان (سواءً كانت مباني أو أصولاً أو أساليب أو أهدافاً أو غيرها)[٣].

ماهي فلسفة التربية:

تبحث فلسفة التربية في ماهية الإنسان والهدف من خلقه وماهية الحياة ورمز تربية الإنسان وماهية المجتمع وغاية الحياة ومعرفة الشخص الذي يراد بناؤه والنموذج المثالي لتلك الحياة، ودراسة العلاقات والروابط، ونقد الأنشطة التربوية واكتشاف طرق لحل المسائل التربوية. وتطرح بعض المفاهيم كالرشد، الحرية الانسجام، التجارب والتعقل والتلاحم المنضبط وإبعاد الإنسان وغيرها[٤].

ان فلسفة هذه التربية القرانية الالهية انما هي النشاط الفكري والسلوكي المنظم الذي ينظم عملية التربية ويجعلها في منظومة واحدة متناسقة ومتكاملة ويوضح الأهداف والقيم التي تسعى لتحقيقها راجيا بهذه التربية أعلى الدرجات والمقامات في الدنيا والآخرة.

كما عرّفت فلسفة التربية والتعليم الإسلامية بعدة تعاريف منها:

١. هي علم يسعى لتحليل أهم الكلمات المفتاحية الواردة في التعليم والتربية الإسلامية، والمباني المختلفة حولها، ويبحث حول أهداف التربية والتعليم الإسلاميين، أصولها، مجالاتها، مراحلها، موانعها، ومناهجها[٥].

٢. هي الجهد المستخدم في تنفيذ الأفكار الفلسفية في بيئة التربية، أو السعي

إلى نشر نظرة الفلسفة العامة ضمن المكونات الخاصة بالتربية. وذلك لتحديد الطريق الخاص بعملية التربية، والمساهمة في تعديلها ونقدها وتنسيقها لتواكب المشكلات والصراعات الثقافية[٦].

ومما سبق يتبين أن فلسفة التربية علم يسعى إلى تفسير وتحليل ونقد القضايا التربوية وتوضيح العلل الكامنة في النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ذات العلاقة بالتربية، وتعتبر فلسفة التربية الميدان التطبيقي للتربية واستخدام التفكير والبحث في المسائل التربوية[٧].

تعريف فلسفة التربية القرآنية:

يمكن تعريف فلسفة التربية القرآنية هي تلك المعلومات المستقاة من القرآن والسنة المفسرة التي تقوم بمهمة بيان ماهيات المفاهيم التربوية وتعريفات الاصطلاحات التربوية الداخلة في المنظومة التربوية القرانية، مثل تعريف الفلاح أو تعريف الانسان، هذا أولا، وثانيا تقوم ببيان الأسباب والعلل أو التعليلات والتحليلات لجميع الظواهر والسلوكيات الداخلة في المنظومة التربوية مثل بيان علة الصيام بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وتمتاز فلسفة التربية الإسلامية بأنها إلهية المصدر وأنها عالمية المنهج وبالشمولية والثبات والتعادلية والتوازن[٨].

مثال:

لو تأملنا قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩]، نراها ترتبط بفلسفة حكم له علاقة بالتربية القانونية أو بالاجتماعية أو بالجنبة العقلانية لفلسفة الأحكام، وهي أن المجتمع بالقصاص سيعيش بأمان من خلال اقتلاع الموانع والعناصر الفاسدة.

المستفاد من فلسفة القرآن الكريم:

لقد نزل القرآن الكريم وكان أول همه إرجاع الإنسان إلى وجدانه ووعيه عن طريق التأمل والتفكر في ما حوله من الأشياء وأحكمه بأشد الإحكام، وذم التقليد والعصبية في الآراء، وبذلك بيّن الطريق المستقيم الذي يوصل الإنسان إلى الكمال والهداية عن غيره وفي نفس

الوقت حدّد علاقة الإنسان بالطبيعة، وهي بالإله، وبيّن بوضوح حقيقة الطبيعة وموقف الإله منها بأسلوب بياني رائع يقبله الطبع السليم، وكان له القول الفصل في ذلك، بحيث أصبح منارا يحتذي به كل متأله وحكيم، ومنه استمد كل من كتب في الفلسفة الإلهية والحكمة المتعالية.

و محصل ما يستفاد من [فلسفة] القرآن في ذلك ما يلي:

الأول: أنّ الطبيعة بجميع عناصرها- السماوية منها والأرضية -كلها حادثة ومخلوقة وخاضعة لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

الثاني: أنّها كما لا تكون أزلية -أي قديمة -لا تكون خالدة وأبدية، يصيبها الفناء كما يصيب كل مخلوق مسخر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨].

الثالث: أنّه خلق السموات والأرض بلا شريك له في الخلق ولا وزير، قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾[سورة المؤمنون: ٩١].

الرابع: أنّه لا تنازع ولا صراع بين أفراد الطبيعة وعناصرها كما زعموه، بل كلها مسخرات بأمره كما في الآية المتقدمة.

الخامس: أنّها خلقت لأغراض صحيحة وفق نظام محكم وقواعد علمية متقنة، وإنها تدل على وحدانية وحكمته وربوبيته قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾[سورة ص: ٢٧].

السادس: أنّها ليست شرا بل خلقت لأجل نفع الإنسان إن كان مطيعا لله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٩].

ماهو الاصطلاح المرادف لفلسفة التربية في القرآن والسنة:

عرف ابن حزم الفلسفة بقوله:

«الفلسفة هي معرفة الأشياء على ما هي عليه من حدودها من أعلى الأجناس إلى الأشخاص، معرفة إلهية»[١٠].

كما يذكر تعريفا آخر للفلسفة يشمل على الثمرة والغاية المقصودة منها فيقول: «الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلّمها ليس هوشيئا غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد وحسن السياسة للمنزل والرعية. وهذا نفسه لا غيره هو الغرض في الشريعة، هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة»[١١].

الكلمة الأقرب لكلمة فلسفة هي كلمة «حكمة»، والفلسفة كلمة يونانية معناها الحكمة[١٢] وهي مستخدمة في النصوص الإسلامية الأساسية (القرآن والسنة)، لهذا نجد الكثير من الفلاسفة المسلمين يستخدمون كلمة «حكمة» كمرادف لكلمة «فلسفة» التي دخلت إلى الفكر العربي الإسلامي، ان الحكمة (الفلسفة) هي التي تبصرنا بحقيقة أنفسنا، وما يحيط بنا من الخلائق، وبما تحكمها من سنن ثابتة، وبالتالي تجعلنا قادرين على معرفة أفضل وعمل أصلح. وهذه الحكمة نجدها مفصلة في كتاب ربنا الحكيم، وأكثر آيات الذكر تبصّرنا بتعابير ظريفة يستطيع أن يستوعب مضامينها حتى الطفل الصغير، وبشكل متكامل، فقوله الحمد لله الحكيم الخبير يشتمل على حقائق كثيرة في الحكمة العامة، لأنه يحدّد بداية الكون ونهايته وهدفه، وانه قائم على علم ونظام يتجليان في كل جزء وجزء منه، لأنّ خالقه هو الله الذي يملك السموات والأرض حاضرا ومستقبلا مما يوجب علينا الحمد له في كل مكان وزمان[١٣].

سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام سأل ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ والحكم هو التصديق بوجود الأشياء المستلزم لتصورها أيضا وأما العملية فثمرتها مباشرة عمل الخير.

و استدعى الخليل عليه السلام في قوله ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ وإلى فني الحكمة كليهما أشهر في الصحيفة

الإلهية﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وهي صورته التي هي طراز عالم الأمر ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ وهي مادته التي هي من الأجسام المظلمة الكثيفة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إشارة إلى غاية الحكمة النظرية ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إشارة إلى تمام الحكمة العملية وللإشعار بأن المعتبر من كمال القوة العملية ما به نظام المعاش ونجاة المعاد ومن النظرية العلم بأحوال المبدإ والمعاد والتدبر فيما بينهما من حق النظر والاعتبار قال أمير المؤمنين عليه السلام: «رحم الله امرأ أعد لنفسه واستعد لرمسه وعلم من أين وفي أين وإلى أين»(١٤).

«علل الشرائع» هو الاصطلاح الأقرب لفسلفة التربية في السنة والمرويات الفقهية، ومنه جاء كتاب علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمه الله فهو كتاب فيه بيان فلسفة ومعاني وأسباب لكثير من الأمور العبادية والتي هي من صميم التربية الإسلامية وكذلك بيان الحِكم والمقاصد في كل من مجالات الأحكام والأخلاق والعقيدة بحسب روايات أهل البيت.

وقد استرعى الكتاب انتباه العلماء منذ بدء تأليفه، حيث تناولت مسائلُه العلل والأسباب في تشريع مختلف الأحكام والأخلاق والعقائد الإسلامية وبيان أسرارها والمقاصد والحِكَم منها.

ومن جملة ما أُورِد من العلل في الكتاب:

علة كيفية بدء النسل، العلة التي من أجلها يجهر بالقراءة في صلاة الظهر من يوم الجمعة وصلاة المغرب والعشاء الآخرة والغداة ولا يجهر في الظهر والعصر في سائر الأيام، علة الزكاة، العلة التي من أجلها صارت الوصية بالثلث، تفضيل الأنبياء والرسل والأئمة على الملائكة، العلة التي من أجلها يحتاج إلى النبي والإمام، العلة التي من أجلها حُرِّم الصيد على اليهود يوم السبت، العلة التي من أجلها يكبر المصلي بعد التسليم ثلاثا، العلة التي من أجلها صارت الزكاة من كلّ ألف درهم، خمسة وعشرين درهما، العلة التي من أجلها يُحرَم الرجلُ صلاةَ الليل، علة استحباب الآلات والاكثار من الثياب في الصلاة وغيرها..

ما هي وظيفة فلسفة التربية في القرآن:

أولا: ان تقدم تعريفـــا لجميع الموجودات الداخلة في مفاهيم التربية.

مثلا نجد القرآن الكريـم يعرف الدنيا -والتي لها الدخل الكبيرفي التربية لانها البيئة الحاضنة للعملية التربوية -في آيات عدة منها:

١-﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[سورة يونس: ٢٤].

٢-﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٤].

٣-﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾[سورة غافر: ٣٩].

ثانيا: ان تقدم تعليلا از تفسيرا لجميع الظواهر والحالات الداخلة في مفاهيم التربية وعملياتها.

مثلا نجد القرآن الكريم يعطي تعليلا لحصـــول بعض الازمات -والتي لهـا الدخل الكبير في التربية اما مانع تربوي أو دافع تربوي -وهو عبارة عن ارجاع السبب الى كسب السيئـات وذلك في آيات عدة منها:

١-﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[سورة الشورى: ٣٠].

٢-﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾[سورة الروم: ٤١].

٣-﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟

﴿ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾[سورة الزمر: ٤٨ -٥١].

ثالثــا: ان تقدم منهجا (مثل طرق وأساليب التربية) أو مثل برنامجا تربويا ومنظومة تربوية ذات مراحل وخطوات.

١. **الطرق التربوية القرآنية:**

وهناك طرق وأساليب تربوية قرانية كثيرة نشير الى مايلي كمثال فقط:

أ. الســؤال: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾[سورة الرعد: ١٦].

ب. المقارنـــــة: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[سورة الزمر: ٩].

ج. التوسـل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [سورة المائدة: ٣٥].

٢. **البرنامج التربوي القرآني:**

قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾[سورة هود: ١١٢].

ويختلف معنى الاستقــامة باختلاف الذي تنسب اليه، فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ أنه يهدي الى هذا الصراط، ويأمر به، وعلى أساسه يثيب ويعاقب[١٥].

﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ على جادة الحق غيرعادل عنها وهي شاملة للعقائد والأعمــال (ومَنْ تابَ مَعَكَ) وليستقم مَنْ تابَ من الكفــر وآمن[١٦]. ايعليك الاستمرار يارسول الله على البرنــامج التربوي الإلهي من خلال الالتزام التام بالاوامر والنواهي الربانية انت ومن معك من المؤمنين. وهكذا يريد اللهَّ للمسيرة الجديدة ألّا تنحرف كما انحرف أتباع الرسالات السابقــة، بل أراد أن تسير في خطها المستقيم الذي رسمه اللهَّ للناس على صعيد الفكر أو العمل أو الموقف أو العلاقات، فلا يتجاوزونــه إلى غيره[١٧]. فالمنهج هو النفس القرآن ونفس الايات بمجمــوع الأوامر والنــواهي الربانيــة، وأفضل المناهج هو منهج القرآن الذي اتّبعه النبيّ وآل بيته الكرام (صلوات اللهّ عليهم[١٨].

القرآن الكريم هو عبارة عن برنامج تربوي، ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا

﴿يُنَزِّلُ﴾ فهذا التغيير والتبديل يخضع لحكمة اللهّ، وبديهي والحال هذه أن يطرأ على وصفة الدواء الإلهي لنجاة هؤلاء المرضى التغيير والتبديل تدرجا مع ما يعيشونه، فما يعطون اليوم يكمله الغد.. وهكذا حتى تتمّ الوصفة الشاملة. أنّ النسخ في الأحكام جزء من أوامر وآيات القرآن المنظمة على شكل برنامج تربوي دقيق لا يمكن الوصول للهدف النهائي لنيل التكامل إلّا به[١٩].

ما هي عناصر فلسفة التربية في القرآن:

ولا نريد أن نطيل عليك فنحن نورد إليك أهم مسائل فلسفة التربية:

١. المسائل الوجودية وعلاقتها البدنية بالإنسان[٢٠].

٢. نظرية المعرفة وعلاقتها بالإنسان.

كما في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ إشارة الى مبادئ العلم الذي أنعم بها على الإنسان، فمبدأ التصور هو الحس. والعمدة فيه السمع والبصر، وإن كان هناك غيرهما من اللمس والذوق والشم، ومبدأ الفكر هو الفؤاد. فتتضح اسس نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي كما فهمتها مدرسة أهل البيت عليهم السلام بأنّها نظرية مرتكزة على أساس قرآني. فقد آمنت هذه المدرسة -كما صورها العلّامة الحلي والشهيد الصدر وجمع من المفسرين-بأصالة المعرفة الحسيّة ليأتي دور العقل فينتزع من المعلومات الجزئية الحسيّة، المعارف الضرورية الكلية التي تسلك كأساس للبحث والتفكير في العلوم التحصيليّة كلها، وبمختلف مباحثها وموضوعاتها[٢١].

٣. معرفة القيم.

قال (نيتشه) فيلسوف الإنسان الأعلى: لا واقع لقيم الأخلاق، فالحرية والعدالة والمساواة مجرد ألفاظ صنعها الضعفاء ليحدّوا بها من سيطرة الأقوياء. و قال ماركس فيلسوف الثورة ضد الإنسان الأعلى: العكس هو الصحيح، فالزهد والصبر والوداعة ألفاظ صنعها الأقوياء ليسيطروا بها على الضعفاء. و معنى هذا عند الاثنين ان ألفاظ القيم لا مصدر لها إلا الهوى والمصلحة الذاتية، وما دام الهوى لا يتفق مع الإنسانية

والمثل العليا فتكون ألفاظ القيم دجلا ونفاقا. ونحن نؤمن بأن مصدر القيم هي المصلحة، ولكنها المصلحة المنبثقة من طبيعة الإنسان بما هو إنسان، لا بما هو طبقة من الطبقات، وفئة من الفئات، وليس من شك أن هذه المصلحة تتفق مع الإنسانية والمثل العليا، بل هي هي، ولذا سميت قيما إنسانية، لا طبقية وعليه يكون لها واقع ثابت بثبوت الإنسان نفسه[٢٢].

أ. القيم التربوية الخاصة بعلاقة الانسان بالله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، نراقبه ويحفظنا في كل زمان ومكان.

ب. القيم التربوية الخاصة بعلاقة الانسان بنفسه قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]، فالانسان دائم السعي لكي يعرف نفسه والهدف من الخلق وليبقى الهدف نصب العين في كل التقلبات.

ج. القيم التربوية الخاصة بعلاقة الانسان بالاخرين من البشر قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ إشارة الى الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية والتقديم لها والإحسان للناس.

د. القيم التربوية الخاصة بعلاقة الانسان بالطبيعة قال تعالى: ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾، فالمفسد للحرث مذموم في القرآن الكريم، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فقد حببت للإنسان هذه الأشياء واقرها القرآن الكريم للإنسان.

٤. البرامج الدراسية (والمتون الدراسية).

أ. مطالعة التاريخ:

التاريخ هو الكتاب الضخم الذي يشمل مجالات الإنسانية الواسعة وهومن اهم المحطات القرانية اذ داعانا القرآن الى دراسته.

إن القرآن وضمن علاجه للكفر

بقدرة اللهّ على البعث -يدعو الكفار إلى التفكر في آثار قدرته وهيمنته على الحياة من خلال قراءة التاريخ البشري المليء بالشواهد على ذلك، ليعلموا أن الحياة ليست عبثا، بل تسير وفق حكمة مقدرة، فالأقوام السابقة إنما أهلكوا لتكذيبهم بالحق.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾ وهذه سنّة جارية في الحياة لا يعطلها شيء، ولا يمنعها البشر مهما أتوا من قدرة، ولفظة أهلكنا مضافة إلى كلمة «كم» التي تفيد الاستفهام عن العدد، تنطويان على تأكيد بأنّ ما حدث في التاريخ ليس مفردة جرت من باب الصدفة، وإنما هي ظاهرة مستمرة تدل على سنّة حاكمة تلتقي فيها تلك الشواهد، ويتضح فيها الفعل الالهي المقصود. ثم إن بعض الأقوام وصلوا من القوة أكثر مما صار اليه المجتمع العربي يوم نزول القرآن، ولكن اللهّ أهلكهم فهل يتصورون على أنهم قادرون على دفع الهلاك إذا حلّ بساحتهم. وامتزاج الضمائر والإشارات في هذه الآية بين أولئك وهؤلاء يحمل طياته إنذارا للمشركين باهلاكهم بطريقة أو بأخرى إذا ما حذوا حذو السابقين، ولن يجدوا حينئذ مخرجا ولا سبيلا إلى النجاة[٢٣].

فقد أمر الله نبيه بعرض التاريخ على الناس فقال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ وكذلك ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وقد بين القرآن الكريم السبب والفائدة من ذلك فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ لان التاريخ مادة للاقتباس والدراسة والاستنباط والتحليل، وكذلك في تاريخ فرعون عندما سرد القرآن الكريم قصته نرى ان المناط نفس موجود ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾.

ب. دراسة الكتب السماوية:

يقول تبارك وتعالى في إشارة الى هذا المنهج التربوي ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾، يعني قرءوا ما في التوراة[٢٤]، و «الدرس» في اللغة يعني تكرار شيء،

وحيث أن الإنسان عند المطالعة، وتلقي العلم من الأستاذ والمعلم يكرّر المواضيع، لهذا أطلق عليـــه لفظ «الدرس» وإذا ما رأينا أنّهم يستعملون لفظـة «درس والاندراس» على انمحاء أثر الشيء فإنّما هو لهذا السبب وبهذه العناية[٢٥].

كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾، نجد القرآن ينفي نسبة التربية والتعليم له وذلك لنفيه انه اعطاهم منهجا درسيا يقرؤونه ويطبقونه.

واخيرا قوله تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَـٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾وهي اشارة استفهامية لامتناع كون تربيتهـــم وتعليمهم رباني والاهي وذلك لعدم حصولهم على المنهج الدرارسي التربوي السماوي.

٥. الوسائل التعليمية في القرآن الكريم والسنة:

أ. **القلم في القرآن والسنة:**

في القرآن الكريم: القلم للكتابـــة:

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾.

أقسم سبحانه بالقلم وما يسطرون به وظاهر السياق أن المراد بذلك مطلق القلم[٢٦]، وهو من اهم واقدم الوسائل التعليمية، وقد يكون كناية عن كل ما يخط به أو يكتب به، أي كناية الوسائل التعليمية. لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليـــم أثرا في حياة الإنسان.. ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية. ولكن اللهّ -سبحانه -كان يعلم قيمة القلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية. في أول سورة من سـور القرآن الكريم[٢٧].

و حيث من على الانســـان بالخط والتعليم مدح ذاته بالأكرميـــة فقال متعرضا ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ أي علم الإنسان بواسطة القلم أو علمه الكتابة بالقلم[٢٨].

في السنة: القلم للرسم:

وكذلك فإن النبي ﷺ قد استخـــدم هذا الأسلوب في التربيـــة والتعليم كما في حديث بن مسعود[٢٩] خط رسول الله ﷺ خطا، ثم قال «هذا سبيل ا لله» ثم خط

خطوطا عن يمينه، وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ب. الكتاب في القرآن والسنة:

في الكتاب:

قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[سورة يونس: ٩٤]، لقد ربط القرآن الكريم البحث عن الحقيقة والتعليم بوسيلة تعليمية قديمة جديدة وهي الكتاب، لانه يشتمل على المعلومات المثبتة، التي يستقطب المنهج العلمي للبحث والدراسة، وعبر القرآن الكريم أحيانا عن وسيلة «الكتاب» بـ «اللوح».

واما في السنة:

فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال: الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين[٣٠].

وكلمة يتعلم الكتاب إشارة الى كون الكتاب وسيلة للتدريس وللتعلم كما انه هنا مصدر للعلم.

ج. التمثيل:

وهو القيام بعرض المعلومات وابرازها للوجود بشكل حسي وتمثيلي لأغراض تعليمية وتحفيزية واقناعية.

ولعل من قصة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام والطيور أو قصته عليه السلام حيث كسر الاصنام وناضر المشركين، وترائيه بالمرض بعد إلفاتهم للنجوم ونقص الافول وغيرها من المواقف التي يسردها القرآن الكريم.

الخاتمة:

تبحث فلسفة التربية في ماهية الإنسان والهدف من خلقه وماهية الحياة ورمز تربية الإنسان وماهية المجتمع وغاية الحياة، عرّفت فلسفة التربية والتعليم الإسلامية بانها علم يسعى لتحليل أهم الكلمات المفتاحية الواردة في التعليم والتربية الإسلامية، والمباني المختلفة حولها، ويبحث حول أهداف التربية والتعليم الإسلاميين، أصولها،

مجالاتها، مراحلها، موانعها، ومناهجها، وتمتاز فلسفة التربية الإسلامية بأنها إلهية المصدر وأنها عالمية المنهج وبالشمولية والثبات والتعادلية والتوازن، وان الكلمة الأقرب لكلمة فلسفة في القرآن هي كلمة «الحكمة» وفي السنة «العلة أو العلل»، وان وظيفة فلسفة التربية في القرآن:

أولا: ان تقدم تعريفا لجميع الموجودات الداخلة في مفاهيم التربية.

ثانيا: ان تقدم تعليلا از تفسيرا لجميع الظواهر والحالات الداخلة في مفاهيم التربية وعملياتها.

ثالثا: ان تقدم منهجا (مثل طرق وأساليب لتربية) أو مثل برنامجا تربويا ومنظومة تربوية ذات مراحل وخطوات.

واما عناصر فلسفة التربية في القرآن:

١. المسائل الوجودية وعلاقتها المادية بالإنسان.
٢. نظرية المعرفة وعلاقتها بالإنسان.
٣. معرفة القيم.
٤. البرامج الدراسية (والمتون الدراسية).
٥. الوسائل التعليمية في القرآن الكريم والسنة.

* * * * *

الهوامش:

(١) كما جاء في الخبر عن ابن مسعود: من اراد علم الاولين فليثوّر القرآن. شرح أصول الكافي «صدر الدين الشيرازي، ج٢، ص:٢٦٩.

(٢) صدر المتألهين، الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج١، ص٢٠.

(٣) د. زارعان، معرفة العلوم التربوية: ص٧٩.

(٤) أسس التربية للدكتور علي القائمي ترجمة عبد الكاظم لوباوي، ص٣٥-٣٦ دار النبلاء.

(٥) كتاب فلسفه تعلبم وتربيت اسلامي، باحثون، تحت اشراف الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، مؤسسة آموزشى وپژوهشى امام خميني، ص ٣٦، ٣٧، ٣٨. بتصّرف.

(٦) د. أحمد الحاج محمد، في فلسفة التربية نظريا وتطبيقيا، ص٦٨، عمان -الاردن: دار المناهج للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى.

(٧) فلسفة التربية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، أ. م. د. حاتم بن عبدالله بن سعد الحصيني، ص ١٤٩، كلية التربية، جامعة الطائف/ المملكة العربية السعودية.

(٨) السيد نذير الحسني، فلسفة التربية الإسلامية: ص٥٥-٦٢.

(٩) السيد السبزواري، مواهب الرحمان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٣٣.

(١٠) ابن حزم، مراتب العلوم، ص ٧٨،

تحقيق الدكتور احسان عباس، ضمن مجموعة رسائل ابن حزم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧.

(١١) ابن حزم، الفصل بين الملل والاهواء والنحل، ج١، ص١٧، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر، دار الجيل العربي بيروت، ١٩٨٥.

(١٢) الشيخ مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص: ٤٠٦.

(١٣) السيد محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ج١٠، ص: ٤٢٠.

(١٤) صدر المتألهين، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الأربعة، ج١، ٢٠.

(١٥) محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ج٤، ص: ٢٧٤.

(١٦) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج٢، ص: ٤٧.

(١٧) السيد محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ج١٢، ص: ١٣.

(١٨) السيد المدرسي، من هدى القرآن، ج١٨، ص: ٤٨.

(١٩) الشيخ مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٨، ص: ٣٢، بتلخيص.

(٢٠) راجع (ما هي وظيفة فلسفة التربية في القرآن: ان تقدم تعريفا لجميع الموجودات الداخلة في مفاهيم التربية) في نفس هذا الدرس.

(٢١) السيد هاشم الموسوي، القرآن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ص: ١٨٧.

(٢٢) محمد جواد مغنيه، تفسير الكاشف، ج٣، ص: ٨٠.

(٢٣) السيد المدرسي، من هدى القرآن، ج١٣، ص: ٤٩٥.

(٢٤) الشيخ محمد السبزواري، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٧.

(٢٥) الشيخ مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٥، ص: ٢٨.

(٢٦) الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص: ٣٦.

(٢٧) في ظلال القرآن، ج٦، ص: ٣٩٤.

(٢٨) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج٦، ص: ٥٣٠.

(٢٩) مسند احمد بن حنبل، ح ٤١٤٢، ج ١، ص٤.

(٣٠) الكافي للشيخ الكليني، باب تأديب الولد، ح٣١٠٦٢٣.

* * * * *

مصادر البحث:

الكتاب العزيز القرآن الكريم.

١. ابن حزم، الفصل بين الملل والاهواء والنحل، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر، دار الجيل العربي بيروت، ١٩٨٥.

٢. ابن حزم، مراتب العلوم، تحقيق الدكتور احسان عباس، ضمن مجموعة رسائل ابن حزم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧.

٣. ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت -لبنان.
٤. أحمد الحاج محمد، في فلسفة التربية نظريا وتطبيقيـــــا، عمان -الاردن: دار المناهج للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى.
٥. الأمثـل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي، ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم، منشورات دار النشر لمدرسة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، إيران -قم، الطبعة الأولى، التصحيح الثالث ١٤٢٦هـ.
٦. حاتم بن عبد الله بن سعد الحصيني، فلسفـــــة التربية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية،، كلية التربيـــة، جامعة الطائف، المملكة العربيـــة السعودية.
٧. الدكتور زارعان، معرفـــــة العلوم التربوية.
٨. السبزواري النجفي، محمـد، إرشاد الأذهان إلى تفسيـــــر القرآن، دار التعارف للمطبوعات.
٩. السبزواري، عبد الاعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، دفتر سماحة آية الله العظمى عبدالاعلى دام ظله.
١٠. سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.
١١. السيد نذير الحسني، فلسفة التربية الإسلامية.
١٢. السيد هاشم الموسوي، القرآن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.
١٣. الشّيرازيّ، صـدر الدّين محمّد بن إبراهيم، الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، دار إحياء التّراث العربيّ، الطّبعة الرّابعة، عام ١٩٩٠م، بيروت، لبنان.
١٤. الشّيرازيّ، صدر الدّين محمّد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، وزارت فرهنگ و آموزش عالى، موسسه مطالعـــات و تحقيقات فرهنگى، ايران، طهران، الطبعة الاولى ١٣٦٦ هـ. ش.
١٥. الطّباطبائيّ، محمّد حسين، الميـــزان في تفسير القرآن، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، الطّبعة الأولى، عام

١٩٩٧م، بيروت، لبنان.
١٦. فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، النشر دار الملاك للطباعة، بيروت -لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ..
١٧. فلسفه تعلبم وتربيت اسلامي، باحثون، تحت اشراف الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، مؤسسة آموزشى وپژوهشى امام خمينى.
١٨. الفيض الكاشاني، ملا محسن، تفسير الصافي، مؤسسة الهدى، قم، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ..
١٩. القائمي، علي، أسس التربية، ترجمة عبد الكاظم لوباوي، دار النبلاء.
٢٠. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي (ط الإسلامية) الناشر: دار الكتب الإسلامية مكان الطبع: طهران تاريخ الطبع: ١٤٠٧هـ الطبعة: الرابعة.
٢١. المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، دار محبي الحسين، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ.
٢٢. مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، دار الكتاب الاسلامي، بيروت، ١٤٢٦ هـ.
٢٣. النيشابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٦ هـ.